صعوبة قواعد العروض والقوافي

وأثرها فيما نراه من أخطاء فاحشة في الشعر الوارد في الكتب الجامعية وكتب إحياء التراث

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

لقد لفت نظري في مجموعة البحوث التخصصية التي أعدّتها (لجنة الإعداد لمؤتمر اللغة العربية في الجامعات) موضوعات اللجنة الأولى المتصلة بواقع اللغة العربية في الجامعات العربية ، ولفت نظري إبراز المعوقات والصعوبات التي تعترض تعلم اللغة العربية وتؤثر في درجة إجادتها وأخذها المكان الصحيح اللائق بهـا والواجب لها ، كصعوبة قواعد النحو والصرف وأثرها في شيوع اللحن ، وصعوبة الرسم الإملائي وأثرها في الأخطاء الكتابية . وبحثت عن صعوبات العروض والقوافي وأثرها فيما يقع من أخطاء غليظة في الشعر الذي تشتمل عليه الكتب الجامعية وكتب إحياء التراث العربي ، فلم تحدث لنا المذكرة التوضيحية عن هـذا المؤتمر وبحوثه منه ذكراً ، وكأن ما يؤذي العين والسمع من أخطاء الشعر المسطور والمروي التي تواجهنا في كل كتاب نقرؤه ، أو كل حديث نسمعه ، والتي تستك منها المسامع ، وتنفر منها العيون التي نود أن تقع على الكلام العربي الصحيح السليم ، كأن ذلك شيء هين لا يلتفت إليه ، ولا ينبه عليه وكأن تلك الأخطاء الشعرية العروضية الثقيلة أصبحت لوازم ضرورية في كل بحث جامعي يأتي أو كل كتاب ينشر ... واختلاط الشعر الموزون المقفى بالشعر « المتسيب » المطلق الذي لا تضبطه قواعد ، ولا تجمعه بحور. وصار الأمر في الشعر الذي ينشر في الكتاب الجامعي ، أو في كتاب التراث ، الذي يعد سندا ودعامة للكتاب الجامعي ، فوضى بلا رابط ولا ضابط . فلا هو شعر عربي أصيل ، على ما نظمه أصحابه الأولون ، وعلى ما جرت به فطرة الشعراء العرب السليمة ، ولا هو شعر حديث على ما جرى عليه شعراء التحرر والانطلاق من قيود الشعر الذهبية ، ولكنه يجئ شعراً أعرج ونظما أبتر ، وقريضا

(*) ألقى البحث بمناسبة تمثيل الأستاذ محمد عبد الغني حسن ، للمجمع ، في مؤتمر اللغة العربية في الجامعات ، الذي انعقد بجامعة الإسكندرية ، من ٢٦ – ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٨١

ذا عوج تنقصه السلامة ، وتعوزه الصحة ، ويفتقر إلى الوزن ، وينتشر فيه التحريف والتبديل ويختل فيه ضبط بناء الكلمات الذى يفضى بالضرورة إلى اختلال الميزان ، واعتلال الكيان ، ويتطرق إليه النقص والزيادة ، وهما آفتان لكسر الأوزان أو زعزعة البنيان. هذا إلى ما يقع فيه من أخطاء فى النحو والصرف والرسم الإملائى ، وهى الأخطاء الناجمة عن بعض الصعوبات التى أشارت إليها المذكرة التوضيحية للجنة الإعداد للمؤتمر . كأن الشعر لم يكفه ما أصيب به من بلاء فى ذاته ، وفى أوزانه وقوافيه ، فانصب عليه بلاء النحو والصرف والإملاء حتى تتم مشيئة الله فيه ببلاء محيط وامتحان شديد ...

ولنكن صرحاء مع أنفسنا حين ننقد الكتب التراثية وغير التراثية ، التى تتصل بالبحوث والدراسات الأدبيـــة واللغوية والتاريخية ، فى كليات الآداب بالجامعات العربية ولا نظلم الجامعات العربية غير المصرية ، حين يمتد مجال النقد إليها ، فقد وقعت لنا عشرات وعشرات ، بل مئات ، من هذه الكتب المكملة للدراسات فى كليات الآداب هنا وهناك ، فوقعنا على أخطاء فى الشعر الوارد فيها ، سواء أكانت كتب أدب أم دواوين شعر ، أم مصنفات فى تاريخ العرب والإسلام ، ووجدنا تلك الأخطاء تشيع بكثرة لا يؤمن معها فهم المادة الموضوعية لهذه الكتب فهماً سليما صحيحاً ، بل وجدناها تحرف الكلم عن موضعه ، وتنتقل بالمعنى المراد من النقيض إلى النقيض ، إلى درجة نستطيع أن نقول معها إن الطالب القارئ أو الباحث أو المتوسع فى الدراسة لا يدرك من لب الكلام المنظوم شيئا ، لأنه كلام شائه محرف ممسوخ ، وبهذا يبعد الطالب شيئا فشيئا عن التذوق الأدبى الذى نود أن نغرسه فيه ، ومن هنا فشا عدم الاهتمام بالقيم الجمالية للكلام ، وصار الشعر اليوم يروى بيننا ويلقى على المنابر ، أو على موجات الأثير فى الإذاعة ، أو على الصورة المرئية المسموعة فى التلفزيون ، كلاما ممزق الأوصال ، مهشم الميزان ، مصحفاً محرفا ، شأنه شأن الكلام المنثور الذى انخفض مستواه وشاع فيه اللحن والأخطاء .

ولو أن تلك الأخطاء العروضية التى تقع فيما بين أيدى التلاميذ والطلاب من كتب ونصوص كانت قليلة أو معتدلة المقدار لقلنا : مسألة طارئة ، ومنقصة عارضة ، تعالج بالاهتمام بدلا من الإهمال ، ولكنها فى الحق مشكلة كادت تستعصى على الحلال ، وخاصة أننا نجد الخطب يتفاقم والعيب يتعاظم والأخطاء تتزايد وتتكاثر والمآخذ تتسع وتتناثر ، وكأن الآذان عن الإصلاح فى صمم .

ولن نؤيد اتهاماتنا فى هذه القضية المنظورة ، والظاهرة العروضية الملحوظة ، بذكر كتب تراثية جامعية مما وقع فيه اختلال وفساد فى الشعر الذى تحتويه وتشتمل دفتاها

عليه ، نتيجة لفساد فى التحقيق ، وقلة بصر بالشعر ، وتهجم على ما لا يحسنه المرء من عمل . . . ولن نؤيد اتهاماتنا كذلك بذكر أسماء محققين لهذه الكتب المعيبة . . فنحن نجل هذا المقام العلمى الصرف الخالص لوجه الله والعروبة ولغة العرب ، أن يكون معرضا للتشهير ، بدلا من أن يكون كلمة للتذكير ، فإن الذكرى – بشهادة الله – تنفع المؤمنين .

وإذا كان شيوع اللحن من ناحية النحو والصرف ، وشيوع الخطأ الكتابى فى رسم الإملاء ، وغزو العامية الهابطة للعربية الفصحى ، ومزاحمة اللغات الأجنبية للغة الضاد ، بعض الأخطار التى تؤرق الحريصين على اللغة العربية ، الغُيُر على سلامتها ، والارتقاء بها فكرا وتعبيراً ، وإلقاء وتحريرا ، فإن أخطاء الشعر العربى والأوهام الغليظة التى تقع فيه ، مدونا فى كتاب جامعى أو واحد من كتب التراث ، أو ملقى على آذان الطلاب ، أو منشدا فى تمثيلية إذاعية أو تلفزيونية ، لا تقل خطراً ولا أهمية عن أخطاء النحو والصرف والإملاء . . .

ولسنا حين نقول هذا نتعصب للون دون لون ، أو نؤثر فرعاً من فروع علم اللغة على آخر ، ولكننا ننظر إلى القضية من كل وجوهها نظرة عادلة مستوية ، فلا ينبغى أن يطفف فى أيدينا المكيال ، عن وجوه الصحة والاعتلال . . .

فإذا عز على الأذن العربية السليمة أن تسمع فى « العراق » أول لحن فى اللغة العربية ، وهو قولهم يومئذ : (هذه عصاتى) بدلا من : (هذه عصاى) ، أفلا يعز علينا اليوم أن نقرأ فى ديوان محقق تحقيقاً جامعيا للشاعر المصرى الإسكندرى : (ظافر الحداد) من شعراء مصر فى العصر الفاطمى : يعز علينا أن يسجل البيت الآتى – بعد طول التحقيق وعرض دعواه – هكذا :

فكم لى فيــه من غدوة وعشيــة
صفا العيش لى فيهن كيف أريد

مع أنه على هذه الصورة مكسور لزيادة لفظ به ، وصوابه هكذا :

فكم لى فيــه غدوة وعشيــة
صفا العيش لى فيهن كيف أريد

بحذف اللفظ الزائد من الناسخ ومن المحقق ، وهو حرف الجر (من) ومن الغريب أن شاعرنا الإسكندرى (ظافر الحداد) الذى أصيب من محقق ديوانه بالزيادة فى البيت السابق ، قد منى من المحقق نفسه (بالنقص) فى البيت الآتى الوارد فى الديوان المحقق على الصورة الآتية :

كالنــوم بين أجفــان أضرّبهــا
طول السهاد كبرء بعــد إضرار

فانكسر الوزن بهذا النقص : ولا يستقيم ميزانه إلا إذا أعيد إليه اللفظ الناقص ، وهو لفظ (ما) ليصبح البيت صحيحا سوى الوزن هكذا :

كالنوم ما بين أجفان أضرّبها
طول السهاد كبرء بعد إضرار

ولو أن أبناءنا فى الجامعات العربية ، وفى مرحلة ما قبل التعليم الجامعى ، قد ألفوا أن يقرأوا شعرا سليما موزونا صحيحا غير محرف ، لتعودت آذانهم أن تعرف الشعر الصحيح ، وتهش له ، وتطرب إلى استماعه ولتعودت ألسنتهم أن تنطق الشعر وتلفظ به صحيحا سليما كما نظمه أصحابه ، وكما شاءوا له أن يروى من بعدهم ، بدلا من هذا التهشيم والتحطيم الذى يجرى عليه ، ويقع فوق رأسه ، فلا يجد له معينا ، ولا مغيثا .

وإذا صح مايقال من أن فى النحو العربى صعوبة ، وأن فى قواعد الصرف صعوبة ، وأن فى قواعد الإملاء صعوبة ، وأن فى علمى العروض والقوافى صعوبة ، فلا يجوز أن تواجه أمثال هذه الصعوبات المزعومة بالإغفال والإهمال وعدم المبالاة ، فإن أمثال هذه التراكمات قد أفضت بنا إلى حال من المعاناة البالغة التى نشكو منها اليوم ، والذنب ذنبنا فيما حدث منا من تراخ فى وسائل التعليم الصحيح ومناهجه ، وإلا فلماذا لم تكن اللغة صعبة على الأقدمين حين كتبوا فيها روائع بقيت إلى يومنا هذا شاهدة على مطاوعة اللغة لهم ، وعدم استعصائها عليهم ؟

ولماذا لم يكن العروض والقوافى صعبا على الشعراء الذين لم يعجزهم أن يلبسوا المعانى الجليلة والأفكار الدقيقة ، أثوابا من البيان الرفيع فى أداء سليم صحيح ؟

على أن مشكلة (الصعوبة) المزعومة مردود عليها بأنها لم تمنع ظهور طائفة لا بأس بها من الكتاب والشعراء المجودين المبدعين فى كل عصر من عصور التاريخ العربى الإسلامى ، حتى فى العصور الموسومة بأنها عصور الضعف والانحطاط .

فهل منع الضعف والانحطاط فى العصر المغولى ، بعد سقوط بغداد سنة ٦٥٦ هـ ، أن يظهر فى العالم العربى الفسيح [شعراء] وأدباء من طراز « البوصيرى » صاحب البردة « وابن نباته المصرى » صاحب الديوان البديع وديوان الخطب ، وسرح العيون ومطلع الفوائد و « ابن حجة الحموى » صاحب « خزانة الأدب » و « صفى الدين الحلى » المشهور بحسن السباك ، وسهولة اللفظ ، و « أحمد بن على القلقشندى » صاحب صبح الأعشى ، و « النواجى » صاحب « حلبة الكميت » و « لسان الدين بن الخطيب » صاحب الإحاطة ؟

وهل منع الضعف والانحطاط فى العصر العثمانى أن يظهر على امتداد أصقاع العروبة شعراء وأدباء من أمثال «عائشة الباعونية » المصرية ، «والطالوى» الدمشقى « وفتح الله النحاس» الحلبى و «ابن معصوم» الحسينى المدنى و « الشهاب الخفاجى » صاحب الريحانة و « عبد القادر البغدادى » صاحب الخزانة و «المقرى » صاحب نفح الطيب ؟

الحق أن هذه الصعوبات المزعومة فى قواعدالنحو والصرف والإملاء،والصعوبات المفروضة التى يمكن أن توجه إلى قواعد علمى العروض والقوافى ، والصعوبات التى تعزى إلى منافسة اللغات الأجنبية للغة العربيةفى المراحل التاليةلمرحلةالتعليم الابتدائى ، والصعوبات التى تعزى إلى شيوع اللغة العامية ومزاحمتها للغة الفصحى فى البيت والشارع والمدرسة ، وغير ذلك من الصعوبات التى تختلق لتسويغ الموقف الضعيف للغة العربية . كل هذه الصعوبات ليست إلا تعلات يفرضها قوم لتغطية الوهن البادى على لغة عدنان اليوم . . .

إن صعوبة قواعد النحو والصرف ليست طارئة على العرب اليوم ولا طارئة على اللسان العربى الحديث، فإذا كانت هناك صعوبة فهى ملازمة للعربية منذ أذن اللهلها منذ العصر الجاهلى أن ينظم بها شعر رفيع وشعر صادق دقيق ، وشعر محلق وعميق . . . وأن تلقى بها خطب رائعة جليلة تمتاز بالتأثير والإقناع على مسيرة التاريخ العربى الإسلامى كله ، وأن تدون بها كتب عظيمة رصينة من أمثال كتب الجاحظ ، وابن قتيبة ، وابن المقفع ، وابن عبد ربه ، وأبى حيان التوحيدى، ومسكويه ، والعماد الأصبهانى ولسان الدين بن الخطيب ، وابن خلدون ، ورفاعة الطهطاوى ، وعبد الله فكرى ، والشيخ حسين المرصفى ومصطفى لطفى المنفلوطى ، وأحمد حسن الزيات، وغيرهم ممن لا يأتى عليهم العد . . .

فتلك الصعوبات الموهومة والمرافقة للعربية منذ قيامها ،لم تمنع الكتاب والشعراء المجودين أن يجودوا إلى أبعد الحدود ، كما أن الدعوى بمزاحمة اللغات الأجنبية لم تمنع أناسا من كبار كتابنا فى العصر الحديث أن لا تقل قيمة إنتاجهم الأدبى والفكرى فى اللغة العربية عنها فى لغة أجنبية أخرى كتبوا بها وأجادوا فيها ، من أمثال عمر لطفى، وأمين الريحانى،وجبران خليل جبران، وفيلكس فارس ابن الإسكندرية البار ، وانطون الجميل ، وبشر فارس والآنسة مى زيادة ، ومحمد مسعود :

على أن نظرة أخرى إلى الوراء ترينا أن كاتبا عظيما مثل «عبد الله بن المقفع» لم تمنعه مزاحمة الفارسية للعربية أن يتفوق تفوقاً منقطع النظير فى اللغتين،وأن يكون له فيهما روائع الآثار التى خلدته على مر العصور ؟

ونظرة أخرى لقضية مزاحمة اللغات الأجنبية للغة العربية تؤكد لنا أن انفراد كثيرين منا بتعليم العربية وحدها لم يفسح أمامهم المجال لتجويدهم والفوق فيها ، بل نراهم مع الأسف ضعافا فى اللغة الوحيدة التى لم يزحمهم فيها مزاحم . . .

فالمسألة إذن ليست مسألة صعوبات تفترض ، ومشكلات تثار ، وتقترح

لها الحلول ، وإنما هى مسألة ضعف عام وعزوف عام عن بلوغ منازل التجويد والإتقان . . . إنها مسألة إهمال وتراخ وقناعة بأدنى مطلوب وأهون مرغوب . .

على أن ذلك لا يجوز أن يشب فى نفوسنا يأسا من الإصلاح ، أو قنوطا من بلوغ الكمال ،وما هذه المحاولات والمؤتمرات والندوات والحلقات ، والأصوات المرتفعة بالشكوى من سوء الحال ،إلا علامات مميزة على معالم الطريق نحو الاستنهاض والإنهاض .

وأذكر أن ندوة لغوية مجميعة عقدت فى عمان ،حاضرة الأردن سنة ١٩٧٨ وسميت ندوة عمان نظمها اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية لبحث مشكلات تعليم اللغة العربية فى ربع القرن الأخير ،وشارك فيها باحثون وممثلون من الأردن ومصر وسورية والعراق والسودان وتونس والسعودية والكويت والمغرب ، فوضعوا أيديهم على كثير من مواطن الداء والتمسوا لها كثيراً من وسائل المعالجة والدواء ،وكانت بحوثهم ودراساتهم ومناقشاتهم نتيجة ممارسات وخبرات .

فإذا جاءت كلية الآداب بجامعة الإسكندرية اليوم تدعو إلى هذا المؤتمر بعد إعداد وتفكير وتدبير لدراسة واقع اللغة العربية وطبيعة المشكلات التى تعانيها ، ووسائل التغلب عليها ، فإننا نطمئن إلى أن النية ما تزال معقودة فى كل ميدان للتعليم على الارتقاء بلغتنا فكراً وتعبيرا وإلقاء وتحريرا . . .

ولا يجوز لنا ونحن فى موضع الاهتمام باللغة العربية اليوم أن نفصل الشعر عن النثر ، ونسلخه منه ، فإن الشعر هو قسيم النثر فى حصيلة الفكر العربى على مر العصور ، وهما معاً يكونان ثروة الأدب العربى وبناءه المشيد ،فليس من العدل والإنصاف أن نؤثر شطراً على شطر من هيكل البناء الشامخ للغة العرب . . .

إن كل ضعف أو شدخ فى الشعر المنشور فى كتب النصوص وكتب التراث والكتب الجامعية هو فى حقيقة الأمر ضعف وشدخ فى بناء اللغة العربية التى نجتمع اليوم لدراسة مشكلاتها ومحاولة حلها ، ومن هنا يستوى الشعر والنثر فى وجوب الاهتمام بهما ، وإصلاح ما تسرب وما يتسرب إليهما من وهن .

والشعر العربى لا ينحصر مكان وجوده فى دواوين الشعر ، وفى كتب الأدب ، وفى كتب المحاضرات والأسمار وحسب ،ولكنه يمتد مجال ظهوره لنجده فى «السيرة النبوية» وفى كتب الأخلاق والآداب ،مثل كتاب «أدب الدنيا والدين» للماوردى «وإحياء علوم الدين» للغزالى، وفى كتب التصوف وطبقاته مثل كتاب « طبقات الأولياء » لابن الملقن المصرى ، وفى كتب التاريخ مثل كتاب «تاريخ الطبرى»

وكتاب «البداية والنهاية» لابن كثير، وفى كتب التراجم مثل كتاب «وفيات الأعيان» لابن خلّكان، و«فوات الوفيات» لابن شاكر الكتبى، بل هو يكاد يكون بادى الحضور فى كل كتاب عربى تقريبا، مما يدل على مزيد الاحتفال له والاهتمام به.

وإذا كنا قد أنزلنا الشعر العربى منزلة التناظر لقسيمه النثر، وأحللناه مكان الاهتمام بالاستشهاد به والرواية له، فلابد أن نصحح ضبطه، ونقيم وزنه، وإلا أغفلنا القيمة الجمالية التى وضعها له العرب، وخلطنا فى روايته بين عمل صالح وعمل سيء.

وإذا كان قد أثرلنا فى تاريخ الأدب العربى أن النبى ﷺ كان يستشهد بالشعر فى كلامه، ولكنه يرويه غير موزون، فإن ذلك لم يكن إغفالا منه لقدر الشعر ووجوب صحة روايته، وإنما كان ذلك انصرافا منه عن قول الشعر وإقامة وزنه حين يرويه تحقيقا لقوله تعالى: (وما علمناه الشعر وما ينبغى له). لأن اهتمامه صلى الله عليه وسلم بالشعر والشعراء كان واقعا ملموسا. وهل ننسى تشجيعه لحسان بن ثابت فى الدفاع عن الإسلام وهجاء المشركين؟ وهل ننسى أنه كان يكثر من استنشاد الشاعرة «الخنساء» شعرها فى رثاء أخيها «صخر» ويستزيدها بقوله: هيه يا خُناس؟

ولابد أن نعرج هنا على «المآتى» التى تدخل على الشعر الذى يرد فى كتب النصوص والدراسات الأدبية والتاريخية، وكتب التراث، فتفسد وزنه، وتشوه وجه صحته.

فقد يضبطه المؤلف أو المحقق بالشكل ضبطا واهما يفضى به إلى كسر وزنه، واختلال بحره، أو فساد معناه ... كالذى جاء مثلا فى ديوان ظافر الحداد ص ٢٨٢:

هى الذهب الإبريز صفّت نَضارةً
يدُ السبك من عيب يشوب وذام

وهذا كلام لا معنى له على الإطلاق وأينما توجهه لا يأت بخير، والصواب أن يضبط هكذا ليستقيم معناه:

وهى الذهب الإبريز صفَّت نُضَارَه
يدُ السبك من عيب يشوب وذام

وقد يأتى الخطأ إلى الشعر المدون أو المنشد، من ناحية نقط الحروف وإهمالها، كالذى جاء فى ديوان «الخالديين»، من منشورات مجمع اللغة العربية بدمشق:

وبكت أسى فانهلّ نور ذائب
وتبسمت فأضاء ظل حامد

ولا معنى هنا للظل بالظاء المعجمة، ولا لكلمة حامد بالحاء المهملة، والصواب: طل جامد، بالطاء المهملة والجيم المعجمة وهو تشبيه لأسنان الموصوفة بقطرات الطل المتجمد.

وقد يأتى الخطأ إلى الشعر من ناحية التنوين وعدم التنوين، فقد يكسر تنوين

بعض الكلمات الوزن ، كما أن إهمال التنوين قد يكسره كذلك . كالذى جاء فى الطبعة المحققة من كتاب (حسن المحاضرة) للسيوطى

عقاربُ فى رفع أذنابها
تسرى على أبطن حيات

فمنع لفظة « عقارب » من الصرف قد نقل وزن صدر البيت إلى وزن غير وزن القصيدة كلها وقد يدخل الخطأ على الشعر من ناحية تخفيف بعض الحروف أو تشديدها ، فيختل وزن الشعر تبعا لذلك ، ومنه ما جاء فى طبعة « دمية القصر » المحققة :

وصحبة الأشبال من حوله
مُلبَّدة يخشى لها وثب

والصواب : مُلْبِدة بالتخفيف ليستقيم الوزن .

وقد يأتى الخطأ إلى الشعر من ناحية تشابه الحروف أو تقاربها فى الرسم ، ونحتاج فى تلافيه إلى إلمام باللغة ، وتذوق وحسن فهم ، كالذى جاء فى حسن المحاضرة :

انظر إلى الجَزَر الذى
يحكى لنا لهب الحريق
كمُدَيَّة من سندس
فيها نصاب من عقيق

ولا معنى للمُدَيَّة تصغير المدْية هنا ، وإنما هى : المذبَّة لأنها تشبه رأس الجزر وأوراقه وفروعه الخضر ، وهو ما يريده الشاعر من تشبيه الجزر .

ولا تقف مآتى الخطأ فى الشعر عند هذا الحد ، فهى كثيرة ، وقد يفيد أن نشير إليها هنا فى إيجاز تنبيها وتذكيرا . ومنها همز الممدود أو قصره ، كالذى جاء فى طبعة « نفحة الريحانة » المحققة :

هل أقال المـوت ذا حـذره
ساعة عند إنتهـاء عمـره

بإثبات همزة « انتهاء » والصواب حذفها ليستقيم الوزن . ومنها الخلط بين تاء المتكلم وتاء المخاطب وتاء التأنيث . ومنها إبدال كلمة مكان كلمة تشابهها فى الرسم ، وكثيراً ما يقع هذا بين إذا وإذْ . ومنها الخطأ فى الشكل الإعرابى أو الشكل البنائى للكلمة . ومنها ما يرد على ياء المتكلم من إسكان أو تحريك قد يكسر الوزن . ومنها التقديم والتأخير فى الألفاظ مما يخل بالوزن ، وإن كان فى بعض الأحيان لا يُحدِث اضطرابا فى الميزان ، كالذى جاء فى الدمية :

عندك قلبى فقلّبيه فإنْ
سواكِ فيه وجدت فانتقلى

وفى رواية أخرى فى بعض النسخ :

عندك قلبى فقلبيه فإن
وجدتِ فيه سواك فانتقلى

والروايتان صحيحتان موزونتان . ومنها ضبط الميم فى جمع المخاطبين وجمع

الغائبين ، فإن تسكينها أو تحريكها قد يكسر الوزن، كالذى جاء فى « الدمية » المحققة :

أخاف من قولكمْ قد سلا
وأطيع الناس على سرى

بإسكان الميم من (قولكم) مما كسر الوزن والصواب تحريكها بالضم . ومنها ما يقع من الخطأ فى ضبط أسماء الأشخاص أو الأعلام أو الذوات ، كالذى وقع فى « الذخيرة » لابن بسّام من تحريف اسم (عروة بن حزام) الشاعر المخضرم إلى (عروة بن خزام) بالخاء المعجمة ، وكالذى وقع فى طبعة « فوات الوفيات » المحققة من تحريف لفظ (حاتم) بالحاء المهملة إلى (خاتم) بالخاء المعجمة، قول الشاعر عفيف الدين التلمسانى :

كأن القطوف الدانيات مواهب
ففى كل غصن ماس فى الدوح خاتم

ولا معنى للخاتم هنا ، وإنما هى (حاتم) إشارة إلى أن غصون الدوح كريمة بالثمار والأزهار مثل حاتم .

ومن مآتى المحققين اليوم التراث أنهم يتعرضون فى أوائل القصائد إلى ذكر بحورها ، وهذا فى نفسه حسن ومطلوب لو أنهم عرفوا حقيقة الأوزان، ولكنهم - والأسف يملؤنا - يخلطون بين البحور خلطا عجيبا فيسمون البحر الطويل وافرا ، ويجعلون البحر الوافر كاملا ، ويسمون البحر السريع رجزا ، كالذى وقع فى ديوان « ابن هرمة » من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، وفى كتاب (اختصار القدح المعلى) لابن سعيد المغربى :

وبعد : فهذا عرض واقعى سريع لما يقع فى الشعر من أخطاء وأوهام غلاظ فى الكتب التى تكمل الدراسات اللغوية والأدبية فى الجامعات العربية كلها بغير استثناء قطر واحد ، فهذه الكتب منتشرة بين أيدى الطلاب والدارسين فى كل بلد عربى ، وينتشر الخطأ معها فى كل مكان ، ويشيع اللحن عن طريقها فى الشعر الذى هو شطر التراث العربى والفكر العربى ، كما يشيع معها ضعف الذوق وفساده ، وانبهام الأفكار والمعانى التى يحملها هذا الفن الأدبى الجميل :

وعرض المنحدر الذى هبط إليه تدوين تراثنا من « الشعر » لا يعنى أنها شكاة بلغت مبلغ اليأس من إصلاح ما فسد ، وكيف نيأس مع قيام هذه المؤتمرات التى منها مؤتمر اليوم ، الذى نرجو من ورائه الخير للغة العربية بكل قواعدها وكل فنون القول فيها ؟

وعلى الله قصد السبيل

محمد عبد الغنى حسن
عضو المجمع